لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

(في اول حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٠)

الالفاظ اليافثية

او الهندية الاوربية في العربية

Les mots Japhétiques ou Indo-européens en Arabe.

١ — مقدمة

المراد بالالفاظ اليافثية : الكلم الهندية الاوربية او كما كان يقوله العلماء قبل خمسين سنة : « الهندية الجرمنية او الهندية الالمانية » أما اليوم فان اغلب الباحثين غيروا هذه التسمية واخذوا يقولون « اليافثية » اجتزاء بالكلمة الواحدة عن الكلمتين وباللفظ الوافي بالمعنى عن الناقص في مؤداه .

٢ — نظرة عامة في الالفاظ العربية

وقد لاحظنا قبل اكثر من ثلاثين سنة ان الفاظ لغتنا تنقسم الى ثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية . وهي على تعددها ترجع الى اصل واحد هو الثنائي وهو الوضع الطبيعي لكل لفظة عربية او سامية . فيزاد على الثنائي حرف او حرفان او ثلاثة فيغدو ثلاثيا او رباعيا او خماسيا وربما زيد اربعة احرف او خمسة فتكون الكلمة سداسية او سباعية .

وظهر لنا ان اغلب الالفاظ الثلاثية الاحرف عربية الوضع والسبك . إلا ان هناك نحو العشر منها دخيلة جاءتها في اغلب الاحيان من اليونانية او الفارسية

او الرومية (اللاتينية) . والالفاظ الدخيلة اكثر ما ترى في الرباعية والخماسية والسداسية واذا كانت ابنية الكلم مخالفة لابنية لغتنا فلا جرم انها دخيلة فيها .

على انه ليس كل رباعي او خماسي او سداسي دخيل الوضع . بل هناك ما هو منحوت من كلم عدنانية فمثل سفرجل ليس دخيلا في لغتنا انما هو منحوت من سفر (اي اصفر) و (جل) اي كبير . ومعناه الثمر الاصفر الجليل اي الكبير وهو كذلك في البلاد التي يكثر فيها الماء ويشتد فيها الحر .

٣ — الفاظ عربية الصيغة دخيلة الوضع

وفي لساننا الفاظ وضعها وضع عربي محض وصيغتها صيغة عربية وحروفها حروف ضادية ولا يعن على بال احد انها دخيلة الاصل وهي مع ذلك دخيلة في لغتنا .

فهذه كلمة « الفحص » فمن يراها من قراء العربية او يسمع بها من الناطقين بالضاد . لا يمر بخاطره انها من وضع الاجانب اذ ليس في صيغتها ما ينبه على انها غير عربية . ومع ذلك ليست من اوضاع السلف قال ياقوت الحموي في المعنى الذي تذهب الى عجمته : « بالمغرب من ارض الاندلس مواضع عدة تسمى « الفحص » . وسألت بعض اهل الاندلس ما تعنون به ؟ فقال : كل موضع يسكن سهلا كان ام جبلا ، بشرط ان يزرع تسميه فحصا . ثم صار علما لعدة مواضع . فاما في لغة العرب فالفحص شدة الطلب خلال كل شيء » اه .

فانت ترى من هذا التفسير الدقيق ان الفحص بمعنى شدة الطلب عربي فصيح صحيح لا غبار عليه واما بمعنى السهل للزرع فهو دخيل والذي عندنا انه من اللاتينية Pagus ومعناها كذلك وهي في لغتهم مشتقة من Pango اي زرع وغرس وزارع ثم توسع في معناه العرب وابناء الغرب فجاءت اللفظة عندنا وعندهم بهذه المعاني : البلدة Bourg والقرية Village والقضاء Canton واما اصل معناها فكان السهل Plaine والقراح Champ ثم المرعى والحمى (كإلى) Campagne. Pâturage possédé par indivis ou en commun.

ومن هذا القبيل «الكيس» (وزان سيد) الذي معناها الظريف الخفيف المتوقد الذهن فهو من الرومية (اي اللاتينية) Civis ومعناها مدني ومن كانت اخلاقه اخلاق ابناء المدن يغلب عليه الظرف والخفة وتوقد الذهن وحسن الادب الى غير هذه

الصفات المشهورين بها سكان المدن والحواضر كما ان سكان القرى والجبال يعرفون بالغلظة والجفاوة والخرق وثقل الخلق ولا جرم ان اصل « كيس : كيوس » على اللفظ اللاتيني : ثم وقع فيها الادغام كما وقع في سائر الكلم المصوغة هذه الصيغة .

ومثل هتين الكلمتين الفاظ جمة تدل على ان السلف جاوروا الاغراب واخذوا منهم ومن آدابهم شيئا غير يسير : والا كان جودهم اشهر من جود غيرهم أمدوهم هنا ايضا بالفاظ لاتحصى . فكان عطاؤهم على مجاوريهم فيضا وكان عطاء غيرهم عليهم قيضا وليست الغاية من هذا المقال ان نقفه على هذا الموضوع . انما نريد اليوم ان نوجه انظار العلماء والباحثين الى امر لم يذكره احد من اللغويين الاقدمين والعصريين ، الاغراب او الاعراب .

وهذا الامر عجيب غاية العجب : هو ان الفاظ اللغة تقسم الى اربعة اقسام جليلة : قسم الالفاظ العربية الخاصة بها التي لا يرى مثلها في اللغات السامية ولا في اللغات اليافثية او الحامية — وقسم فيه ما يشبهه في اللغات السامية دون غيرها — وقسم فيه ما يشبهه في اللغات اليافثية وحدها وقسم رابع فيه ما يشبهه في اللغات الحامية فقط .

اما ان يكون في لغتنا الفاظ تضارع ما في سائر اللغات السامية فهذا اشهر من ان يذكر وقد انتبه له الاقدمون منذ عصور تدوين اللغة . وكذلك قل عن المشابهة التي ترى بين الكلم العربية والكلم الحامية (اي المصرية ونحوها) فمخالطة العرب لسا كني وادي النيل قديمة لاتخفى على احد فاذا اقتبس قوم شيئا من قوم خالطوهم منذ اقدم الازمنة فلا عجب ايضا . اما ان في لساننا الفاظا تماثل الالفاظ اليافثية اي الهندية الاوربية فهذا منتهى العجب . على اننا ذكرنا في مقالتنا التي نشرناها في السنة الماضية وازعجت كثيرين من الشعوبيين وعنوانها « فضل العربية على سائر اللغات » (٧ : ٥٩٣ الى ٦٠٢) ان اجدادنا العرب اختلطوا مع امم كثيرة في صعيد سقي البحر المتوسط في نحو الالف الثالث او الثاني قبل المسيح (٧ : ٥٩٨ و ٥٩٩) ولهذا اقتبس منا الاجانب الفاظا كثيرة وفي تتبعاتنا لدقائق اللغة وجدنا كلمات مختلفة المبنى مؤتلفة المعنى فهي من

المترادفات : إلّا ان فيها ما يشبه الالفاظ اليافثية في الصيغة الواحدة وينظر الى الالفاظ السامية في مبناها الاخر . وهذا هو الامر العجيب . ولا بد من ان نوضح ذلك بمثل مزدوج اللفظ مؤتلف المعنى ليظهر بمنتهى الجلاء .

٤ — شاهد يثبت وجود ألفاظ يافثية في العربية وهي عربية لا يافثية في نظرنا:

— الصنو —

يزعم لغويو الافرنج الذين لا يودون ان يسمعوا مرة واحدة ان بين لغتنا ولغتهم بعض المشابهة ان لا صلة بين الكلمة الانكليزية Son وبين العربية «ابن» وان الانكليزية هي من الصكصونية العالية Sunu وهذه من الهندية الفصحى (اي السنسكريتية) Sûnu بمعناها . ولهذا لا يريدون ان يسمعوا منا ادنى حجة تشير — ولو من بعيد — الى ان في لغتنا الفاظا غير الشائعة وهي تشابه كل المشابهة صكصونياتهم او هنديانهم الاوربية الفصحى . وقد جمعنا منها طائفة جليلة ومن جملتها هذه اللفظة اي صنو .

فصنو (بكسر الاول) معناها الابن . وهي لاتبعد كثيرا عن لفظتهم الصكصونية العالية صنو (بضم الاول والثاني) اي Sunu كما لاتفترق كثيرا عن الهندية الفصحى « صونو Sûnu » .

اما ان الصنو (بكسر الصاد) يعني الابن فهذا ما يرى مدونا في جميع معاجمنا العربية ومن جملة معانيه العديدة قال في اللسان : « الصنو الاخ الشقيق والعم والابن والجمع اصناء وصنوان [بكسر الاول] والانثى صنوة » اه .

وقد بحثنا في جميع الكتب اللغوية الانكليزية التي تعنى بمقابلة الفاظها بالفاظ سائر اللغات المجانسة لها فرأينا انها تذكر هكذا : Son هي بالانكليزية وبالصكصونية العالية Sunu وكذلك بالصكصونية القديمة . وبالفريسية القديمة (هي غير الفرنسية القديمة) Sunu وبالهولندية او الدجية Zoon وبالجرمنية السافلة Son و Sone وبالاسلندية Son[r] او Sun[r] وبالسويدية او الاسوجية Son وبالدنيمركية او الدانوية Sön وبالقوطية (او الغوطية او الغطاطية) Sunus وبالجرمنية Sohn وباللغات المتصلة بالروسية Suinu وباللتوانية Sûnus وبالسنسكريتية Sûnu وختموا البحث كله بقولهم . والمادة ماخوذة

من صو Su اي ولد او صار انتهى . هذا ملخص ماجاء في دواوينهم اللغوية ولم يشيروا ادنى اشارة الى وجود مناسبة بين الفاظ تلك اللغات جميعها وبين العربية « صنو » مع وضوح هذا التسب كل الوضوح وتشابه الالفاظ بعضها لبعض من غير ادنى لبس .

ومعنى « الصنو » وسائر معانيه ظاهرة للعيان في العربية اجلى من سائر اللغات بحيث يقر بها الكبير والصغير الذي يفهم كيف تجري الولادة اولا يفهم وذلك ان اصل الصنو هو للنخل كما قال صاحب التاج او للشجر كما قال الزجاج وفي التاج « (النخلتان فما زاد) ثلاث او خمس او ست يكن (في الاصل الواحد) وفروعهن شتى (كل واحد منهما) اي من النخلتين . والاولى كل واحدة منها : (صنو) بالكسر ويضم حكاه الزجاج (او عام في جميع الشجر) .

اذن الصنو هو فرخ الشجرة التي ينبت في الاصل الام . فبنوته ظاهرة بخلاف بنوة الحيوان فانها لاتبين اذا فارق الولد امه لعدم لصوقه بها ابدا في النخل او في الشجر فان البنوة ظاهرة لظهور لصوق الفرخ بامه . واذا حمل الفرخ صار اخا لمن نشأ منها فصار الابن اخا واذا عظم وبلغ ضخم الاصل صار كأنه عم للاصل اي نشأ من هذا الفرع الثاني فرع ثالث وهكذا صار معنى « الصنو » الابن والاخ والعم والشجرة الواحدة قد تتفرع فروعا كثيرة حتى تبلغ ارضا واسعة ويصعب ان يعرف الاصل الاول بل قد تصبح الشجرة غابة واسعة . فانظر كيف اللفظ العربي يوافق نشوء الطبيعة ويحتفظ بمختلف المعاني الامر الذي لا يرى في سائر اللغات .

وقال العرب سلفنا : اصنى النخل : انبت الصنوان من ابن الاعرابي ، فاذا كان يقال للنخل يقال ايضا لسائر الشجر بل للبشر ايضا . اذ لم تنشؤ عندنا معاني الصنو على اختلافها إلّا اعتمادا على المبدأ الذي بسطناه قبيل هذا .

وليس للصنو شبيه في سائر اللغات السامية فهو خاص بلغتنا البديعة وحدها دون جميع اخواتها الساميات .

ولما كان بعض القبائل تجعل الصاد المهملة ضادا معجمة في بعض الاحوال قالت في الصنو « الضنو » . قال ابو عمرو : الضنو والضنو الولد بفتح الضاد

وكسرها بلا همز . وقال الهروي والخطابي ضنت المرأة اي كثر اولادها يقال: امرأة ماشية وضانية وقد مشت وضنت اي كثر اولادها .

ثم ان بعض السلف كان يبدل النون راء قال بعضهم الضرو بالكسر ايضا . وقالوا معناه «الضاري من اولاد الكلاب والانثى ضروة بهاء» قلنا . الحق ان يقال ولد الكلب لا غير . لكن بعضهم لما رأى فيه مادة ضري ظن ان المراد بالضرو هنا الضاري من اولاد الكلاب . وكيف يكون ولد الكلب ضاريا وهو جرو . فالوهم ظاهر ولو قالوا : الولد من الكلاب الضارية لكان انسب .

ونزيد على ما تقدم ان عربا آخرين كانوا يهمزون الناقص في بعض الاحيان . ولهذا ترى اللغويين يقولون ضنت المرأة وضنأت وأضنأت : اذا كثر ولدها وقال ابو عمرو : الضنء الولد مهموز ساكن النون [مفتوح الاول] وقد يقال : الضنء [بكسر الاول] . والضنى بضم الاول : الاولاد . انتهى .

ولما كان بعض العرب من اوديين وعصريين يجعلون الضاد زايا قال بعضهم : الزنية بكسر الاول : آخر اولاد الاسرة وليس لهذه اللفظة أدنى صلة بالزنى كما يتبادر الذهن اليه . انما الصلة هنا بالضنى لابسواها .

وكذلك قل عن « الصنو » فقد نشأ منه « الصبي » اذ باؤه مقلوبة عن النون وان كان يجوز ان يقال برأي آخر ليس هنا محل بسطه ويظهر انه ارجح من ذاك الراي على ان في عرض الاراء على المفكرين فائدة لا تنكر اذ شرار الحقائق لا ينقدح إلا عند احتكاك الرأي الواحد بالاخر .

اما الكلمة العربية التي لها اشباه ونظائر في اللغات الاخوات فهي ابن .

٥ — الابن واصله ونظيره في اللاتينية

اثبتنا « في نظرنا » ان الكلمة الصكصونية المأخوذة من الهندية الفصحى عربية التجار . او لا اقل من ان يقال ان « الصنو » العربية وصنو الصكصونية العالية من مصدر واحد لا يمكن ان ينكره ناكر مهما حاول التشنيع علينا

والان نخطو خطوة ثانية لنجرؤ جرأة اخرى ونقول : ان الكلمة اللاتينية فليوس Filius عربية الوضع ايضا وان كره الشعوبيون وهزؤوا منا .

يقول لغويوهم ان فليوس مشتقة من فعل Felare او Fellare (اي يلامين

او لام واحدة) ومعناه مص او رضع فيكون اصل معنى « فليوس » الماص او الراضع ولا يكون كذلك في اغلب الاحيان إلّا ولد الانسان فالظاهر ان تسمية الولد او الابن بفليوس امر معقول . إلّا اننا نقول ان في لغتنا لفظة تماثل كل المماثلة للفظة اللاتينية وتعني معناها وهي البول والبولة بمعنى الولد او الابن والبنت . ولا جرم ان الاصل كان « البل » بهجاء واحد ثم مد فصار كما رأيت .

اما ان اصل وضعه كان « البل » فهذا ظاهر من قول لغويينا ودونك نص عبارتهم : « بالك الله تعالى ابنا وبالك به اي رزقكه واعطاكه » اه . فلو لم يكن للبل معنى الولد اما ورد الفعل بهذا المعنى . وفضلا عن ذلك ما ورد في لساننا من معنى آخر يؤيد ورود البل بمعنى الولد فقد جاء في كلام السلف قولهم : « بلوا الارض اذا بذروها بالبلان كصرد اي البذر او البزر . وانت تعلم ان المتكلمين باللغات الشرقية والغربية اعتبروا « البذر او البزر » ولدا ايضا تسمية له بما كان عليه في اول نشوه .

فاذا علمت كل هذا اتضح لك ان فاء فليوس بدل من الباء . وورود هذا البدل اكثر من ان يحصى .

هذا فضلا عن ان فقهاء لغات الغربيين اعترفوا به في اسفارهم . اما ان هذا الابدال يرى في لغتنا فالشواهد عليه اكثر من ان تحصى من ذلك وجف القلب ووجب . اكفحت الدابة واكبحتها . زحف وزحب . الكنفرة والكنبرة . ضف الناقة وضبها . فتش في الامر تفتيشا وبتش فيه تبتيشا الى غيرها .

والذي يؤيد رأينا ان اللاتينية ماخوذة من العربية ان ليس في اللغات القديمة من ديار الافرنج لفظة تقارب « فليوس » اما الافرنسية Fils فحديثة وماخوذة من اللاتينية اما كل ما ذكر من الالفاظ في بعض اللغات الاوربية فقليل عددها ومجانستها للاتينية اقل وكلها حديثة ماخوذة من هذه اللغة الام .

٦ — الابن وما جاء فيه من اللغات والمشتقات

رايت ان اصل الابن هو « البل » بمعنى الولد وبمعنى البذر . ثم مد وسط الهجاء فصار « بول » للمذكر و « بولة » للمؤنث . ولما غلب معنى البول على السائل الذي تفرزه الكليتان . انف الناس من ان يتخذوا اللفظين المذكورين بمعنى الابن

والابنة فعدلوا عن استعمالهما بهذين المعنيين الاخيرين . ونقلوا «البل» الى صورة «بن» والنون من اقرب الحروف الى اللام . ومنهم من زادها ميما في الاخر حتى لا يلتبس على السامع الحرف الواحد بالحرف الاخر فقال : «بنم» وقد ورد في بعض لغات القبائل . إلّا انهم زادوا في اول بن و «بنم» همزة وصل تمكنا من قطع دابر الالتباس في الاول وفي الاخر فقالوا ابن وابنم .

اما العبريون والارميون فقـالوا في «بل» «بر» بمعنى الابن وقد حفظ بعض السلف منا ذلك في قولهم : ما ادري اي البرنساء هو . واي برنساء هو . واي برناساء هو . اى : أي الناس هو . او بعبارة ادق أي ابن الناس هو او اي ابن الانسان هو . ولم ينشأ من البل «البر» فقط . بل البنر والبزر بفتح الباء . وكلاهما يعني الولد كما تقدم الكلام عليهما .

ومن اللغات التي تنظر الى لفظتنا «بر» پور بالفارسية وپثرا Putra بالزندية وكذا بالهندية القديمة اي السنسكريتية .

وزاد السلف حاء على أول «بل» فصارت حبل والحبل هو ابتداء خلق الولد في بطن امه . وابدلت باء الحبل من الميم فكان عندنا «الحمل» ففي كل من الحبل والحمل ثقل . وما يحمله الانسان يكون عزيزا عليه وفي مزنه شيء يشبه عزة الولد .

واذا رجعنا الى «بر» ودققنا النظر في ما أخرجت لنا من الالفاظ . رأينا للحال نشوء كلمة أبر يقال ابر الرجل ابراوا : اذا كثر ولده وابر القوم كثروا والبر ولد الثعلب ـ ومن بر نشأ «البرء» و «البرء» : الخلق . ومن خلق شيئا كان له كالوالد بل والدا . وكان المخلوق مولودا . فالبرء ناشيء من «بر» نشوءا واضحا جليا .

وقد تجعل الهمزة في الصدر وتوصل فيها فيقال : «أبر» وابر النخل والزرع ألقحه واصلحه وابر كل شيء عمله (راجع لغة العرب ٧ : ٨٣٩) .

وقد تزاد التاء المثلثة على «بر» فيقال ثبر بمعنى ولد . واللفظة مماتة بهذا المعنى إلّا انها حية في قولهم «المثبر» «(كمسكن) ومعناه الموضع الذي تلد فيه المرأة او الناقة . فهو اسم مكان من ثبر» وكما انه لم يقولوا «مولد» إلّا لوجود ولد . كذلك لم يكن عندنا المثبر إلّا لوجود ثبر في اول الامر ثم ماتت

لاهمال الناس اياها . ومن البر : الذرء والذرية ولد الرجل وهي من الذرء اي الخلق.

وابدلت باء « ثبر » من الميم فقيل « ثمر » وثمر الشجر صار فيه الثمر والثمر ولد الشجر لو جاز لنا هذا التعبير .

وقد تقلب مادة «بر » فيقال « رب » ورب النعمة زادها والرب خالق الكون واذا زيد على آخره الف قيل « ربا » وربا المال : زادونما . واذا ابدلت من الالف غينا معجمة قلت « ربغ » ومنه ربغ القوم . اذا اقاموا في النعيم والخصب وقالوا : ربع بالمهلة فلان : اذا أخصب واربعت الابل : اذا سرحت في المرعى واكلت كيف شاءت وشربت . وكذلك الرجل بالمكان . وتبدل العين من الحاء فيقال ربح . ومنه ربح الرجل . كسبه والربح كالربع اي وزان صرد وهو الفصيل الصغير .

ومن هـذه المادة الربل وقد زيد في آخرها اللام . قالوا : ربل القوم ربلا : كثرت اموالهم واولادهم . ومن هذه المادة ايضا « الربو » فقد قالوا : ربا المال : زاد ونما . وقد تبدل باء « بل » من النون فيقال « نل » ومنه اخذ «النجل» و«النسل» للولد والذرية .

وقد يبدل حرفا « بل » جميعا من حرفين قريبين منهما في المخرج فتبدل الباء فاء واللام راء ثم يعد مابينهما فيقال « فار » ومنه قولهم فارت القدر اي جاشت وغلت وارتفع ما فيها . وفي هذا المعنى ما يفيد الزيادة لانه اذا جاش ما في القدر بقوة الحرارة او الغليان او البخار زاد فالزيادة هنا نوع من الولادة او النتاج وفار الماء نبع من الارض كأنه ولد منها . الى آخر معاني هذه المادة .

ويقال في فاريفور: ثاريثور :

ويزاد في آخر مادة « فر » خاء معجمة ومنه الفرخ وهو ولد الطائر وكل صغير من الحيوان والنبات .

وتبدل الخاء من العين فيكون منه الفرع . وهو كل ما ينشأ من الاصل فيكون اعم من الفرخ في معناه .

وقد تزاد اللام في آخره فيقال فرعل ومنه الفرعل لولد الضبع فان كان ذكرا قيل فرعلان وان كان انثى قيل فرعلة .

ومثل الفرعل البرعل وهو ولد الضبع او ولد الوبر من ابن آوى .

ولو اردنا ان نطيل البحث في هذا التفرع او هذا النوع من الاشتقاق لامتد بنا النفس الى احراج النفس . وهو ما لانريده انما اتينا بما اتينا لنبين للقارىء محاسن هذه اللغة البديعة التي لا تعارض بلغة من لغات الارض كلها بلا شاذ فهي اجلهن وابدعهن واقدمهن وهي الام وما سواها بنات لها .

وما توسعنا قليلا في « ابن » وما ورد فيه من الاختلافات والروايات والمشتقات إلا لنوضح للناس انه من وضع الناطقين بالضاد وليس من سواهم .

٧ — ملخص المقالة

في لغتنا العدنانية الفاظ لها نظائر في اشهر لغات العالم القديمة الكبرى اي لها اشباه في اللغات السامية والحامية واليافثية . والذي نريد ان نثبته لكل عاقل غير معاند ان في المترادفات التي تكثر في لغتنا كلمات تنظر الى اليافثية اي الى اللغات الهندية الاوربية . وهذا امر انكره علينا ابناء الغرب الى يومنا . امانحن الذين عالجنا هذا البحث منذ اكثر من خمسين سنة فقد وجدنا في لساننا اوضاعا تجانس الالفاظ اليافثية وهي كثيرة لاتحصى. وقد اردنا ان نؤيد بهذا المقال ان هذا المدعى ليس خياليا انما هو حقيقي واتينا بذكر شاهد واحد بمنزلة مثال بين ظاهر واضح لا ينكر يقاس عليه امثلة كثيرة . وإلا فعندنا من هذا القبيل مئات من الامثلة .

و « صنو » معناه ابن كما في الانكليزية Son وهو كذلك في اللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) و « ابن » هو في الاصل « بل » ثم تقل الى صور مختلفة عديدة . ومن لغتنا عبر الى اللغة اللاتينية « الرومية » Filius ومن يشك في هذه الحقيقة فلياتنا بادلة تنقض مدعانا ونحن اول من يرجع عن رأيه اذا تبلج له الحق على غير ما بدا له في اجتهاده الخاص به . فالحق مبتغانا وهدفنا واليه نرمي في جميع مباحثنا .